

انهاض الصناعات

وأثره في حياتنا الاجتماعية

لحضرة صاحب السعادة الأستاذ ابراهيم عبد الهادى بك

وزير التجارة والصناعة السابق

الحياة العادية ترتب نفسها وتنظم طرائقها وتبني أسبابها. فهذا بلد توافرت لديه المعادن ومواد الوقود ، فتوافرت له بذلك أسباب الصناعة ، فانصرف همه الى الإنتاج الصناعى ، واستغنى أبناءه بأجر الصناعة وربحها الوفير عن الاشتغال باستنبات الأرض على أن يشتروا غذاءهم من بلاد أخرى آثرتها الطبيعة بمجودة المناخ وخصب التربة فانقطعت للزراعة . وهكذا جرى الاختصاص على أساس توزيع الهبات الطبيعية بين الأقطار المختلفة ، فأعدت كل بلاد نفسها للنظم التجارية والمالية التى تناسب تسيير حاصلاتها وتيسير رواجها وحسن تداولها ، وعرف كل قطر من الأقطار عملاءه فى نواحى المعمورة ، ونشطت حركة النقل خصوصا بالبحر لأداء رسالة الاقتصاد والتداول بين جميع البلدان .

وفى ظلال السلم نمت فكرة التخصص فى الإنتاج ، وفى كنفه سهلت المواصلات الى حد ربط أطراف المعمورة المتباعدة بباطا يشبه رباط الحوار فلم يبق بلد يخشى المجاعة لأن ما يحتاج اليه من غذاء أو صناعة تبعد عنه منابته أو مصادره .

ولكن دوام السلم على ما فيه من خير أمر تأباه طبيعة تنازع البقاء ، والحرب على ما تحمل من آلام وويلات تضم فى طياتها نذرا وعبرا لمن أحسن فهمها ووفق للانتفاع بها ، ولم تعد الحرب قاصرة على قراع بين جيوش صفت للقتال وأعدت للترال ، ولكنها صارت فوق ذلك ضغط أمة وشعوب على أمة وشعوب ، كل فريق يعمل على إزهاق قوى الإنتاج فى الفريق الآخر ليضعفها أو يأتى عليها إن استطاع ، ثم ليسد المنافذ على ما ينتجه هذا الآخر حتى لا يجد من يبيعه فلا يجد ما يشتري به ، ثم يقطع عنه طريق الورد فلا يستطيع أن يستكمل ضرورياته من منتجات بلاد أخرى اعتاد الاعتماد عليها . هذه هى الحرب الحديثة : فتك بقوى الجيوش وفتك بقوى الإنتاج فى وقت واحد .

ولقد جاءتنا الحرب السابقة بهذه النذر ولم تكن المواصلات العالمية قد تعرضت لما تعرضت له في الحرب الحالية من تعطيل بفعل سلاح الطيران ، فأحسن مصر الاستماع والاصغاء ، وانتهت للعمل على ست حاجاتها بإقامة الصناعات ، ونابرت بعد انتهاء الحرب الماضية على تنمية هذه الصناعات وترقيتها . ولا شك أن جهود بنك مصر في هذا السبيل قد أتت بخير كبير ، وأصبحت مصر في هذه الحرب تجد أغلب لباسها مصنوعا داخل حدودها بأيدي مصرية . وتقدمت صناعة الأثاث والجلود لدرجة الكفاية تقريبا ، ونشطت صناعات أخرى وتخطت عوائق التجارب الأولى وهي تسير الآن في طريقها إلى الاستقرار والكمال ؛ ولولا اختلاف ظروف البحريين الأبيض المتوسط والأحمر في هذه الحرب عنها في الحرب الماضية لشعرت البلاد بفارق أكبرين حاجاتها إلى الخارج اليوم وحاجاتها إليه في سنى الحرب الماضية .

نحن الآن نتدرج في التقدم الصناعي بفضل الحرب الماضية ؛ ولكن جهود العقل نحو زيادة وسائل الحصر والحرمان قد جاءت بجديد ظاهر الأثر ، فوجب أن تضاعف البلاد جهودها في سبيل النهضة الصناعية لتكون أكثر استغناء وأشد منعة على الخطوب والكوارث . فعلى كل صانع أن يبلغ بإنتاجه أقصاه ليحتل سوق البلاد بمنتجاته وليعود مواطنوه الإقبال على بضاعته . وعلى كل متعلم متصل بفرع من فروع الصناعة أن يوجه علمه إلى ميدان العمل لينتج من الثروة جديدا أو يحسن قديما أو ينمي صغيرا . هذه فرص الحياة السانحة التي لا تتعرض ، فلنتنزهها وانقن من المستقبل متحققين من النجاح . ولقد أدركت الحكومات المصرية المتعاقبة ما يجب عليها نحو البلاد قبل أن تقع الحرب فبذلت أقصى ما يستطيع لتشجيع المستوردين على مضاعفة نشاطهم في تخزين حاجات الزراعة والصناعة الأساسية كالسماد ومواد الوقود ، فواجهت مصر الحرب باستعداد سمح لعوامل الإنتاج المحلي بالاستمرار ، ووقاها شر الاضطراب المفاجئ في الأسعار ، كما سمح لكل أن يجد الفرصة لتعديل وسائله مع استدامة الحركة وإطراد العمل .

ولكن مهما يكن من أمر الاكتفاء بالخززون فإن هذا الاكتفاء موقوت بأجل إن لم تكن بالغناه اليوم فلسوف نبلغه قريبا ، وقبل أن نبلغه يجب أن نستعد له ، فما يتعذر وجوده مع استمرار الحرب المجهولة الأجل يجب أن نهيئ من الآن ما يملح عمله .

خذ مثلا الأسمدة الكيماوية وقد نجحت الحكومة في توفير حاجة البلاد منها في العام المنصرم ولا يزال بالبلاد منها ما يكفيها لعام آخر ، فقد وجب على كل زارع أن يضاعف عنايته بتوفير الأسمدة البلدية على اختلاف أنواعها حتى إذا استطالت أيام الحرب وجدنا في سمادنا غناء عما كنا نستورد ، واستمرت مصر قادرة على إنتاج المقادير التي اعتادت إنتاجها من المحاصيل المختلفة قطننا وأرزنا وقمحنا وسواها ، وتمكنت من كسب أسواق خارجية لحاصلاتها فوق احتفاظها بما أبقتة الحرب لها من أسواق .

ومثل آخر نضربه في مواد الوقود: فواجبنا حيالها أن نوفر من استهلاكها جهد الطاقة وأن نستبدل بالفحم الوقود السائل والكسب ما استطعنا ، ولنقل ثما نستهلك من الكيوسمين في السموات بتقصير مواعيد السهر ، وليقم كل مواطن من نفسه حكومة على نفسه ورقيا على هواه ، وليستمتع قلبه بأنه بوازع من وطنيته يدخر من مناعه لإمتاع وطنه وتقوية اقتصاده .

لا يتو بحكومة يوم أسعد من هذا الذي يتوافر فيه للشعب كل كمال وكل أساسى من شؤون حياته إذا كان من شأن هذا أن يحمل سعادة البلاد ورفاهيتها ممدودة موصولة ، وليس أشقى من حكومة ولا من شعب يتغمس في الاستمتاع بما جل ما لديه من نعمة ثم يرتكس بعد ذلك في ألم العجز والحربان .

والخير كله في الوسط في الأمر والاحتياط للزمن وتقبل ما يقضى به الوقت بحسن التصرف وسلامة التوجيه ، حتى إذا انقضت سحب الحرب وآلامها وعادت الأمم إلى المباراة في التعمير ، وجدنا أداة حياتنا الاقتصادية سليمة عامرة وعاملة قادرة ، ويومئذ يستطيع كل بلد أحسن التصرف أن يستغل الموقف وأن يحنى شهب الثمرات .

نحن بلد زراعى إلا تكن زراعنا متبنا للكسب العريض والثروات الكبرى إذا قبست بأرباح الصناعة ، ففيها على تواضع رزقها أمن من المجاعات الفتاكة التي تحل بالبلاد الصناعية إذا حصرت . وصعوباتنا في التكوين محدودة بصعوبات الواردات الأجنبية الضرورية ، أما تمويلنا الداخلى فلا يعدو توزيع خبراتنا المحلية من أحد جوانب القطر إلى جانب آخر زيادة في الاحتياط والتحرز ودفعنا لشور الطمع التي تنور في بعض النفوس فنحاول استغلال الشدائد بلحز الأرباح . . . فنحن دائما بفضل الزراعة في أمن من الجوع ، وسنكون إن شاء الله في أمن من متاعب الواردات الأجنبية التي نراها اليوم ضرورية إذا عرفنا كيف نستفيد من هذه الحرب كما استفدنا من سالقتها في تنمية صناعتنا ، وإذا تدبرنا استخدام كل ما تنتجه مصر بدلا من منتجات الخارج . ثم إذا نحن ضاعفنا كل نوع من أنواع الاستاج لنبيع للغير كل ما يفيض منا .

الحكومة ساهرة لا تنام عن راحة الشعب فقيره وغنيه ، واقفة بالمرصاد للطامعين ونهازى الفرص المحرمة . لا تنى عن أخذهم بغير رحمة ولا هواة ، لأنهم يسمحون لأنفسهم أن يستغلوا ضيق الشعب وأن يجعلوا شدة الأيام حجيا لا يطلق ، وهو عمل خال من الرحمة بعيد عن الرفق ، مناف للروءة والكرامة الانسانية . ولكن الحكومة في نفس الوقت تعتمد كل اعتمادها على حسامية الشعب المصرى وكرم شعوره وفيض انسانيته ومتوارث تقاليده وعاداته في الإيثار وكرم النفس والمبادرة للتعاون وجمع الشمل عند كل صعوبة تقع بفرد فيه

أو جماعة منه، أو تقع بالبلاد كلها، ولذلك فهو قد استجاب لدائها في كل ظرف بل قل استجاب لما يتردد في ضميره من حب الخير والانصاف وبخس الشره والاستنزاف . ولا تزال جميعاً تذكري شذائد الحرب الماضية وآثارها وقسوتها على المواطنين، فلتمثل شذائد الماضي لنحسن علاجها ، ولتق بها مخاطر المحنة التي تمر بنا علنا نخرج منها سالمين . ولكن شعارنا انقاذ الصناعة وتمييتها، واستغلال خيرات البلاد والاستغناء عن الخارج جهد الطاقة بمنتجاتها المحلية، ومضاعفة العمل لزيادة الانتاج ، والنضامن والتراحم بين الهيئات المختلفة ، حتى نخرج من الحرب كغلة واحدة قدر ببط المحبة بيننا جميعاً بأوثق رباط ، فلا حقد ولا كراهة ولا استنزاف — بل محبة ورحمة وشعوراً بالعدل والإخاء .

وإن قليلاً من التناسي للكاليات ، والمعاونة لأولى الأمر ، والصدق في كل ما يطلبونه من بيانات ، لكفيل بأن يضمن لنا النجاح والنظام والسلامة .

هذا وقت الواجب العام فليساهم كل بنصبيه جل أو صغر ، ولينقدم كل لحل التبعات مهما تكن الصعاب ، ولا يفرن أحد من مواجهة الموقف وتيسيره ، فإنه لا يفر من الشدة صادق القلب ، ولا يهرب من حل التبعات مؤمن بحق الوطن ، والله يهب لنا جميعاً توفيقه ويسدد خطانا على طريق الواجب لنخرج بمصر من مأزق الحرب لم تعوق من تقدمها ، ولم تقصر من خطي نهضتها .

ابراهيم عبد الهادي

من فكاهات أدباء العرب

ذهب ابن هرمة الشاعر مع بعض الرفاق ليتغذوا عند صديق على خير مومد ، فأبطأ صاحب الدار في تقديم الطعام اليهم حتى أذنت صلاة العصر وكانت تبدو عليه أمارات الحيرة والارتباك ، فقال ابن هرمة :

يا ذاهبا في داره جائيا بغير معنى ولا فائدة
قد جئنا أضيافك من جوعهم فاقرا طيبهم سورة المائدة